المنهج النبوي في صناعة القدوة الحسنة من جيل الصحابة
دراسة تحليلية
The Prophetic Method in Cultivating Exemplary Role Models from the Companions: An Analytical Study

مسرورة سيء مأسي*، د. صفية شمس الدين**

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على المنهج النبوي في إعداد وصناعة القدوة الحسنة من جيل الصحابة، وذلك لما لهذه العملية من دور محوري في بناء الأمة وإعداد قادتها. فقد أولى النبي ﷺ عناية فائقة بصناعة الشخصيات النموذجية التي يمكن أن تكون قدوة يُحتذى بها في الإيمان والسلوك والقيم، وجعل ذلك من أولويات منهجه التربوي والتوجيهي.

اعتمدت الدراسة على المنهجين الاستقرائي والتحليلي، حيث قامت الباحثتان بجمع الروايات التي تُبرز أساليب النبي ﷺ في إعداد القدوات من الصحابة، مستندتين إلى مصادر متعددة، أبرزها كتب السنة النبوية، والسيرة، والتاريخ الإسلامي، إلى جانب المراجع الحديثة ذات الصلة. وبعد جمع المادة العلمية، قامت الباحثتان بتحليل النماذج المختارة وفق منهج علمي دقيق، لاستنباط أهم السمات والآليات التي اعتمدها النبي ﷺ في هذا الجانب.

ومن أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة أن المنهج النبوي في صناعة القدوة الحسنة اتّسم بالشمولية والتكامل، حيث لم يقتصر على جانب معين، بل شمل التربية الروحية، والتعليمية، والاجتماعية، والسلوكية. كما كان لهذا المنهج أثر بالغ في تشكيل مجتمع مثالي قائم على الأخلاق الرفيعة والعبادة الصادقة، ما جعل الصحابة نموذجًا يُحتذى به في مختلف العصور، وأسهم في تعزيز مكانتهم الفريدة في التاريخ الإسلامي.

الكلمات المحورية: المنهج النبوي، القدوة الحسنة، الصحابة، التربية، التأثير

*طالبة دكتوراة في قسم دراسات القرآن والسنة، بكلية (عبد الحميد أبو سليمان) لمعارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا. masrurahiium@gmail.com

**أستاذ مساعد في قسم دراسات القرآن والسنة، بكلية (عبد الحميد أبو سليمان) لمعارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا. sofiahs@iium.edu.my

ABSTRACT

This research aims to shed light on the Prophetic approach to shaping and cultivating exemplary role models from the generation of the Companions. This process played a pivotal role in building the Muslim nation and preparing its leaders. The Prophet ﷺ dedicated great attention to developing individuals who could serve as ideal examples in faith, behavior, and values, making this a fundamental priority in his educational and guidance methodology.

The study adopts both the inductive and analytical methodologies. The researchers gathered various narrations that highlight the Prophet's ﷺ methods in fostering role models among his Companions, relying on multiple sources, including books of hadith, prophetic biography, Islamic history, and relevant contemporary references. After compiling the material, the researchers analyzed selected examples using a rigorous scientific approach to derive the key characteristics and mechanisms employed by the Prophet ﷺ in this regard.

One of the study's most significant findings is that the Prophetic methodology in shaping exemplary figures was characterized by comprehensiveness and integration. It was not confined to a single aspect but encompassed spiritual, educational, social, and behavioral dimensions. This holistic approach had a profound impact on forming an ideal society founded on noble ethics and sincere devotion. As a result, the Companions became exemplary figures across generations, solidifying their distinguished status in Islamic history.

Keywords: Prophetic methodology, Exemplary role model, Companions, Education, Impact

المقدمة

الحمد لله الذي جعل لنا في أنبيائه ورسُله أسوةً حسنةً، والصلاةُ والسلامُ على المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد!

فقد كان رسول الله ﷺ تجسيدًا حيًّا للقدوة الحسنة التي ألهمت الصحابة -رضوان الله عليهم- وأجيال المسلمين من بعدهم، على مرِّ العصور واختلاف الأزمان، وقد أكَّد الله -عز وجل- هذا الأمرَ في كتابه؛ حيث قال: ﴿**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾ [الأحزاب: 21]. والله -سبحانه وتعالى- أرسل النبي ﷺ؛ ليكون قدوة عملية للناس في تطبيق منهجه الرباني على أرض الواقع، ومع انتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، بقيت رسالتُهُ خالدةً تتناقلُها الأجيالُ، مما استدعَى إعداد قادة يحملون أمانة هذه الرسالة، ويجسدونها عمليًا؛ لضمان استمرار هداية البشر، وحفظ الرسالة السماوية عبر

الزمن. والصحابة –رضوان الله عليهم– هم النخبة المباركة التي اختارها الله عز وجل؛ لتكون الجيلَ الأولَ الذي يحمل رسالة الإسلام بعد النبي ﷺ، لقد نشأوا وتربّوا على يده ﷺ، وقد حرص الصحابة على مراقبة صفاته وحركاته، والاقتداء به فيها، رغبة منهم في تمثُّل أفعاله ﷺ؛ حيث كان المثال الأعلى لهم.[1]

والصحابة الذين تربوا على يديه ﷺ، كانوا أَقْدَرَ الناسِ على التفاني في خدمة دينهم، وهم لم يكونوا فقط من أولي الفَهْم العميق للدين، بل كانوا أيضًا نماذجَ حيّةً في جوانبَ مختلفةٍ للأجيال اللاحقة؛ ومن ثَمَّ كان لدراسة المنهج النبوي في صناعة القدوة الحسنة من جيل الصحابة أهميةٌ بالغة؛ إذ إن الأمة اليوم في حاجة ماسة إلى العودة إلى هذا المنهج النبوي لإعداد الأجيال الصالحة وصناعتهم، لا سيما في العصر الحاضر، الذي تعاني فيه الأمة من ضعف في النماذج التي يحتذون بها؛ نتيجةَ ضعفٍ في الأخلاق، وانحرافٍ في السلوك رغم كثرة الأحاديث التي حثَّت على القدوة الحسنة، ونفَّرت من القدوة السيئة، ولا شك أن منهج الإسلام يساعد في إصلاح ما طرأ على الأمة من ضعف وانحراف في الأخلاق والسلوك، وعلى الرغم من وضوح الأهمية البالغة للبحث في هذا الموضوع؛ فإن الدراسات المتعلقة بالمنهج النبوي في إعداد القدوات الحسنة من جيل الصحابة، وتحليل أبعاده، لا تزال قليلةً ونادرةً؛ لذلك جاء هذا البحث ليسلِّط الضَّوْءَ على هذا الموضوع المهمّ؛ من حيث توضيح المراد بالقدوة، والمصطلحات المتعلقة بالموضوع، بالإضافة إلى تسليط الضوء على المنهج النبوي في صناعة القدوة الحسنة من جيل الصحابة، حيث كان النبي ﷺ يربي أصحابه عمليًا ليصبحوا قدواتٍ في مجتمعاتهم، فكما كانت القدوة النبوية سرًا في قوة الأمة في الماضي، فالقدوة في الحاضر هي مفتاح للنهضة والازدهار. نسأل الله أن يوفقنا لعرض هذا الموضوع بما يحقق الفائدة المرجوة، وأن يجعله عملاً خالصًا لوجهه الكريم.

المنهج النبوي في صناعة القدوة الصالحة من جيل الصحابة

من خلال التأمل في سيرة النبي ﷺ وهديه، نجد أنه اهتم اهتمامًا كبيرًا بتربية أصحابه وإعدادهم؛ ليكونوا قدواتٍ صالحةً. وقد اعتمد النبيُّ ﷺ على أساليب متنوعةٍ ومميَّزَةٍ في تربيتهم، مما أسهم في بناء جيل قوي ومؤثر ساعد في إنشاء مجتمع إسلامي متماسك. أصبح هذا الجيل نموذجًا يُحتذى به للأجيال القادمة في العلم والعمل، ويمكنُ تلخيصُ منهج النبي ﷺ في صناعة القدوة الحسنة من جيل الصحابة في النقاط الآتية:

[1] انظر: عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد، **نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ**، (جدة: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ط٤، د.ت)، ج١، ص١٤٣.

١– الاهتمامُ بالتربية العقدية والروحية والعقلية والأخلاقية

اهتم النبي ﷺ بالجانب التربوي من جميع الاتجاهات، وقد تجلَّى هذا الاهتمامُ من خلال عدة أمور، يمكنُ إبرازُها فيما يأتي:

أ– التربية العقدية

ركَّز النبي محمد ﷺ على بناء العقيدة الصحيحة لأصحابه، والتي تقوم على التوحيد الخالص، والإيمان بأركان الإيمان الأساسية، ومن الأحاديث التي تؤكد حرص النبي ﷺ على ترسيخ العقيدة الصحيحة في نفوس الصحابة وتعليمهم إياها، حديثٌ عن جُنْدُبِ بن عبد الله قال: «كنا مع النبي ونحن فتيانٌ حزاورةٌ، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلَّم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانًا»[2]، ومن هنا نعلم أنَّ النبي ﷺ كان يركّز على التربية الصحابة بشكلٍ متكاملٍ، من حيث تعليمُهم الإيمان وترسيخُه في قلوبهم، قبل تعليمهم الأحكام والتشريعات القرآنية، وكذلك في حديثٍ عن ابن عباس، قال –رضي الله عنه–: «كنت خلف رسول الله ﷺ يومًا، فقال: يا غلامُ، إني أعلِّمُك كلماتٍ؛ احفظ الله يحفظك، «احفظ الله تجده تُجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفَّت الصُّحف»[3].

يُبرز هذا الحديث منهجًا نبويًّا في التربية العقدية، حيث يجمع بين ترسيخ التوحيد والإيمان بالله عز وجل، وتعميق الإيمان بالقضاء والقدر، وهذه المبادئ كانت ركيزة أساسية لتعزيز العقيدة الصحيحة في قلوب الصحابة.

ب– التربية الروحية

اهتم النبي ﷺ بتربية أصحابه روحانيًا اهتمامًا كبيرًا، حيث عمل على تزكية أرواحهم، وبناء شخصياتهم المتوازنة؛ وذلك كما جاء في حديث عن عامر قال: سمعت النعمان بن بشير يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحلال بَيِّنٌ، والحرامُ بين، وبينهما مُشتبهاتٌ لا يعلمها كثيرٌ من الناس، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات: كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله في أرضه محارمه، ألا وإن في الجسد مضغةً: إذا صلحت صلح الجسد كلُّه، وإذا فسدت فسد الجسد

[2] محمد بن يزيد ابن ماجه، السنن، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، د.ط، د.ت)، كتاب افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب في الإيمان، ج١، ص٢٣، رقم٦١، وقال: "حديث صحيح"

[3] محمد بن عيسى الترمذي، **السنن**، تحقيق: بشار عواد معروف، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٦م)، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، ج٤، ص٢٤٤، رقم٢٤٥٥، وقال: "حديث حسن صحيح".

كلُّه، ألا وهي القلب»[4]. وكان القرآن الكريم هو المصدر الأول للتربية الروحية للصحابة، وقد كان النبي ﷺ يحرص على تلاوة القرآن معهم، ويُرشدهم إلى التدبر في القرآن الكريم، ويشرح لهم معانيه، ويرشدهم إلى تطبيقه في حياتهم اليومية، ففي حديث عن عبد الله بن مسعود، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اقرأ عليَّ القرآن، قال فقلتُ: يا رسول الله، أقرأ عليك، وعليك أنزل؟! قال: إني أشتهي أن أسمعه من غيري، فقرأتُ سورة النساء حتى إذا بلغت: ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا**﴾ [النساء: 41]، رفعتُ رأسي، أو غمزني رجلٌ إلى جنبي فرفعت رأسي، فرأيتُ دموعه تسيل»[5]. يُظهرُ لنا هذا الحديثُ أن النبي ﷺ كان يحرصُ على تربية أصحابه على محبة القرآن الكريم والتدبر في معانيه، مما يعكسُ جوهر التربية الروحية. وقد أسهم ذلك في بناء شخصياتهم الإيمانية المتوازنة، حيث كان القرآن الكريم أداة رئيسية لتعزيز القيم الروحانية في نفوسهم، وترسيخ الإيمان في قلوبهم.

جـ- التربية العقلية

ركَّزت التربيةُ النبويةُ على تنمية القدرات العقلية للصحابة من خلال تعزيز مهارات التفكر والتأمل، باعتبارها جزءًا من منهجية صناعة القدوة في الإسلام؛ حيث كان النبي ﷺ يشجع أصحابه على التأمل في عظمة علم الله اللامحدود الذي يحيط بكل شيء، مما يغرس في قلوبهم الخشوع والتواضع أمام جلال الله، ولم يكن هذا التأمل مجرد نشاط فكري، بل كان له أثر بالغ في تهذيب نفوسهم، وتطهير قلوبهم من الشكوك، وتعميق يقينهم، وإيمانهم بحكمة الله وقضائه وقدره، وقد جاء في حديث عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رجلًا أتى النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله! وُلد لي غلام أسود. فقال: هل لك من إبل؟ قال: نعم. قال: ما ألوانها؟ قال: حمر. قال: هل فيها من أورق؟ قال: نعم. قال: فأنَّ ذلك؟ قال: لعلَّه نزعه عرق. قال: فلعل ابنك هذا نزعه»[6]. هذا الحديث يُظهر لنا المنهج النبوي في التربية السليمة، والحكمة في التعامل مع المشكلات الحياتية؛ إذ استخدم النبي ﷺ الحوار العقلي والاستدلال المنطقي لإزالة الشكوك والاضطراب من نفس الرجل، بأسلوب هادئ يرسخ القناعة، ويدعو إلى التأمل في حكم الله وتقديره. ولهذا، ومن خلال هذا المنهج النبوي في الحرص على

[4] محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، **الصحيح**، (بيروت: دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ)، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، ج١، ص٢٨، رقم٥٢.

[5] مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، **الصحيح**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ط، ١٣٨٨هـ)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل استماع القرآن، وطلب القراءة من حافظ للاستماع، والبكاء عند القراءة والتدبر، ج١، ص٥٥١، رقم٨٠٠.

[6] البخاري، **الصحيح**، كتاب الطلاق، باب إذا عرض بنفي الولد، ج٧، ص٥٣، رقم٥٣٠٥.

الفكر والتأمل، تأثر الصحابة بشكل كبير في مقام القدوة، حيث ساعد هذا التأمُّلُ العقليُّ الصحابةَ على إدراك الحكمة وراء التشريعات والأحداث، وأصبحوا نماذج يُحتذى بها في الفكر وفي إزالة المشكلات.

د- التربية الأخلاقية

كان النبي ﷺ يربي أصحابَه من خلال أخلاقه وأفعاله قبل أقواله؛ حيث إنه كان يُظهر سلوكًا مثاليًّا، مما جعل الصحابة يتبعونه ويقتدون به في جميع جوانب حياتهم، ومما يدل على ذلك حديثٌ عن عبد الله بن سلام – رضي الله عنه– يقول فيه: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس إليه، وقيل: قدم رسول الله ﷺ، فجئتُ في الناس لأنظر إليه، فلما استثْبَتُّ وجه رسول الله ﷺ، عرفتُ أن وجهه ليس بوجه كذاب، وكان أول شيء تكلم به أن قال: «يا أيها الناس! أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصَلُّوا والناسُ نيامٌ تدخلوا الجنة بسلام»[7]، هذا الحديث يعكس جانبًا مهمًّا من التربية الأخلاقية التي ربّى عليها النبي ﷺ الصحابة؛ فالكلمات التي قالها النبي ﷺ عند وصوله إلى المدينة تشير إلى مبادئ أخلاقية أساسية لبناء المجتمع الإسلامي، وكلُّ هذه النقاط ترتكزُ على بناء مجتمعٍ يقومُ على الأخلاق العالية، والتسامح، والتعاون بين أفراده، وقد كان هذا جانبًا مهمًّا من التربية التي تلقَّاها الصحابة على يد النبي ﷺ؛ حيث جمع فيه بين جوانب العبادات والأخلاق والعلاقات الاجتماعية؛ وقد أسهمت هذه التعاليمُ التربويةُ في بناء جيل من الصحابة يتمتع بأخلاق عالية، وقيم إسلامية متينة، وكانوا قدوة حسنة للأمة في الأخلاق الحميدة، والتعاليم الرشيدة.

٢- الرفق واللين في التعامل مع أصحابه

من منهج النبي ﷺ في صناعة القدوة وبناء الجيل أنه ﷺ كان حريصًا على الرفق واللين في التعامل مع أصحابه، وقد أولى الإسلام عناية كبيرة لهذه القيم الأخلاقية، وجعلها من الأسس المهمة التي ينبغي أن يتحلى بها المسلم؛ لما لها من دور كبير في كسب القلوب، وإصلاح النفوس، وترسيخ العلاقات الإنسانية القائمة على المحبة والتفاهم، كما جاء في حديث عن عائشة زوج النبي ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنْزَعُ من شيء إلا شَانَهُ»[8]، وقد مدح الله جل وعلا رسوله ﷺ فقال: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾ [آل عمران: 159]، فكان لين النبي ﷺ ورفقُه سببًا في اجتماع الناس حوله، أما الفظاظة والشدة فكانتا ستؤديان إلى نفور الناس منه؛ ولذلك كان من أخلاقه ﷺ

[7] ابن ماجه، **السنن**، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في قيام الليل، ج١، ص ٢٣، رقم١٣٣٤؛ والحاكم، **المستدرك**، ج٣، ص١٤، رقم٤٢٨٣. وقال: "صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي.

[8] مسلم، **الصحيح**، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، ج٤، ص٢٠٠٤، رقم٢٥٩٤.

الرفق واللين لا الفظاظة والغلظة؛ وهذا من أهم الصفات التي اتصف بها رسولُنا الكريم مع من حوله من الصحابة –رضوانُ الله عنهم أجمعين– حتى من ناصبه العداء من مشركي قريش وغيرهم كان يعاملهم بالرفق واللين، كما كان ﷺ يتميز بالرفق واللين في تعامله مع أصحابه.

وقد جاء في حديث عن أبي هريرة، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما أنا لكم بمنزلة الوالد، أعلِّمُكم، فإذا أتى أحدُكم الغائط فلا يستقبلِ القبلة، ولا يستدبرْها، ولا يستطبْ بيمينه، وكان يأمر بثلاثة أحجار، وينهى عن الروث والرّمَّة»[9]، يوضح لنا هذا الحديث جانبًا مهمًّا من منهج النبي ﷺ في توجيه أصحابه وتعليمهم؛ حيث كان النبي ﷺ يقوم بدور الأب في تعليمهم وتوجيههم بالرفق واللين، كما يفعلُ الوالدُ مع أبنائه. فتأمَّلْ كيف ابتدأ النبيُّ ﷺ بأسلوبٍ لطيفٍ ولينٍ في التعليم؛ مما كان له أثر عميق في نفوس السامعين، وكانت هذه الطريقة منهجًا في حياته، يقوم على الرأفة والحرص على مصالحهم، وليست مجرد إلقاءٍ للتعليمات أو إصدارٍ للأوامر؛ ومن هنا نعلم أن هذا التعامل بالرفق واللين كان أسلوبًا أساسيًّا للنبي ﷺ في تعليم الصحابة، وتوجيههم، مما انعكس بشكل كبير على تربيتهم وإعدادهم؛ ليكونوا قدوة في الأخلاق والتعامل مع الآخرين في المجتمع.

٣– الاهتمام بأحوال الصحابة

من أسس المهمة في صناعة القدوة الحسنة في المنهج النبوي؛ الاهتمام بأحوال أصحابه الشخصية، فقد كان يتابِع أحوالهم، ويتفقدُ شئونهم الخاصَّة، ويعينهُم في أزَماتهم، وهناك أمثلة عديدة من الأحاديث النبوية تؤيد هذا وتؤكده، ومن أبرزها –على سبيل المثال لا الحصر– حديثٌ عن جابر بن عبد الله، قال: خرجت مع رسول الله ﷺ في غزاة، فأبطأ بي جملي، فأتى علي رسول الله ﷺ فقال لي: «يا جابر»، قلت: نعم، قال: «ما شأنك»؟ قلت: أبطأ بي جملي وأعيا فتخلفت، فنزل فحجنه بمحجنه، ثم قال: «اركب»، فركبت، فلقد رأيتني أكفه عن رسول الله ﷺ، فقال: «أتزوجت»؟، فقلت: نعم، فقال: «أبكرًا أم ثيّبًا»؟ فقلت: بل ثيّب، قال: «فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك»؟ قلت: إن لي أخوات، فأحببت أن أتزوج امرأة تجمعهن وتمشطهن وتقوم عليهن، قال: «أما إنك قادم، فإذا قدمت فالكيس الكيس»، ثم قال: «أتبيع جملك»؟ قلت: نعم، فاشتراه مني بأوقية، ثم قدم رسول الله ﷺ وقدمت بالغداة، فجئت المسجد فوجدته على باب المسجد، فقال: «الآن

[9] أبو داود سليمان بن الأشعث، **السنن**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (بيروت: دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م)، كتاب الطهارة، باب كراهية استقبال القبلة عند قضاء الحاجة، ج١، ص٨، رقم ٨، ومحققه شعيب الأنؤوط قال: "إسناده قوي".

حين قدمت»؟ قلت: نعم. قال: «فدع جملك وادخل فصل ركعتين»، قال: فدخلت فصليت ثم رجعت، فأمر بلالًا أن يزن لي أوقية، فوزن لي بلال، فأرجح في الميزان، قال: فانطلقت، فلما وليت قال: «ادع لي جابرًا»، فدعيت، فقلت: الآن يرد عليَّ الجمل، ولم يكن شيء أبغض إلي منه، فقال: «خذ جملك، ولك ثمنه»[10]، من خلال هذا الحديث يتجلَّى لنا أن النبي ﷺ كان يلحظ مشكلات الصحابة، ويتفاعل معها بشكل شخصي ومباشر، ولم يكتف بالسؤال، بل ساعده عمليًا بإصلاح الجمل، وتفاعل النبي ﷺ مع جابر على مستوى شخصي، سائلاً إياه عن زواجه وسبب اختياره للزوجة الثيب، هذا التواصل الحميم أظهر اهتمامه ﷺ بتفاصيل حياة أصحابه، ومن خلال هذا المنهج نعلم أنه قد أسهم في بناء روابط عاطفية قوية بين النبي ﷺ وبين أصحابه؛ إذ عندما يشعر الصحابة أن النبي ﷺ يهتم بأمورهم الشخصية، ويعرف تفاصيل حياتهم؛ ينشأ بينهم وبين قائدهم شعور بالثقة المتبادلة، كما كان عليه الصلاة والسلام يقدم قدوةً عمليةً في كيفية التعامل مع الآخرين بالعطف والرحمة؛ وهذا جعل الصحابة يدركون أنَّ الدين ليس مجرد عبادات، بل يشمل كذلك حياة الناس اليومية واحتياجاتهم، ويسهم في بناء القدوة الحسنة، والتخلُّق بالأخلاق الحميدة؛ ومن هنا كان الصحابةُ جيلًا فريدًا ومجتمعًا راقيًا وقدوة طيبةً لمن جاء من بعدهم.

٤– حثَّ النبي ﷺ أصحابه على التزوُّد من مختلف العلوم ونشرها

قد أوْلَى النبيُّ محمدٌ ﷺ اهتمامًا كبيرًا بتوجيه أصحابه إلى تحصيل أنواع العلوم المختلفة ونشرها، إدراكًا منه لأهمية العلم في بناء الأمة وتقدمها؛ حتى يكونوا قدوة في العلم، كما هم قدوة في الدين والأخلاق، قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**﴾ [التوبة: 122]. وكان النبي ﷺ يحرصُ على تربية الصحابة، ويحثُّهم على طلب العلم والعمل به، ويرسخُ في نفوسهم قيمة نشر المعرفة بين الناس، ولم يكن العلم مقتصرًا على حفظ النصوص فقط، بل كان يمتد ليشمل الفهم العميق والتطبيق العملي في الحياة اليومية، ولعل ما يؤيد ذلك حديثٌ عن أبي موسى الأشعري أنه قال: قال النبي ﷺ: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا، فكان منها نقية، قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب، أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى، إنما هي قيعانُ لا تمسكُ ماءً، ولا تُنبتُ كلأ. فذلك مَثَلُ من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلّم، ومَثَلُ من لم يرفع بذلك رأسًا،

[10] مسلم، **الصحيح**، كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح البكر، ج٢، ص١٠٨٩، رقم١٤٦٦.

ولم يقبل هدى الله الذي أُرسلت به»[11]، هذا الحديث يعد توجيهًا واضحًا من توجيهات النبي ﷺ للصحابة إلى تحصيل العلم والإكثار منه ونشره. ونجد توجيهًا نبويًّا آخر يبيّن أهمية العلم ودوره في حياة المسلمين، ويحثّ على الأخذ بالعلم وتطبيقه ونقله للآخرين.

وذلك حينما يوجهُ النبيُّ ﷺ أصحابه للعلم وتحسين مستواهم العلمي، كما جاء في حديثٍ عن أبيه زيد بن ثابت قال: «أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلَّم له كلماتٍ من كتاب يهود، قال :إني والله ما آمن يهود على كتاب. قال :فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته له، قال :فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبتُ إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأتُ له كتابهم»[12]. يُظهر هذا الحديثُ بوضوح حرص النبي ﷺ على تنمية المستوى العلمي والعملي لأصحابه، وتشجيعهم على اكتساب المعارف التي تخدمُ الدعوة الإسلامية، وتعزّزُ التواصل مع الآخرين؛ فقد كان تعلُّمُ زيد بن ثابت لغة اليهود مثالًا عمليًا على ذلك؛ إذ كان هذا التعليم يهدف إلى خدمة المسلمين في التعامل مع رسائل اليهود ومراسلاتهم، بالإضافة إلى تعزيز قدرتهم على فهم الثقافات الأخرى، والتواصل معها بفاعلية وحكمة، وكان النبي ﷺ يحثُّ أصحابه على نقل العلم ونشره بين الناس؛ لتحقيق النفع العام، وقد تجلى هذا الحرص في سعيه لتمكينهم من اكتساب مختلف المعارف، التي تُسهم في بناء مجتمع قوي ومتقدّمٍ؛ وبفضل هذا المنهج النبوي الرائد، نشأ جيلٌ من الصحابة الذين حملوا لواء العلم والهداية، فأصبحوا مناراتٍ مضيئةً للأمة الإسلامية عبر العصور، ونموذجًا يُحتذَى به في طلب العلم وتحصيله ونشره.

٥- إظهار التقدير والاحترام للصحابة

من أبرز الأساليب التي اعتمدها النبي ﷺ في صناعة القدوة أنه كان شديد التقدير والاحترام للصحابة الكرام؛ إذ إنه ﷺ لم يعامل الصحابة كأتباع فحسب، بل عاملهم كأفراد ذوي قيمة ومكانة، وكان يُوليهم الاحترامَ والتقديرَ في مختلف المواقف، مما أسهم في بناء شخصياتٍ قويةٍ، استطاعتْ أن تؤثر في التغيير الإيجابي في دنيا الناس، والنماذجُ على ذلك في أحاديث النبي كثيرة ومتعددة، من أهمها -على سبيل المثال لا الحصر- أنَّ النبي ﷺ كان يُثني على الصحابة، ويكرمُهم على إنجازاتهم، كما جاء في حديثٍ عن ابن عباس -رضي الله عنه- ، عن النبي ﷺ أنه قال: «لو كنتُ متخذًا من أمتي خليلًا لاتخذتُ أبا بكر، ولكنْ أخي وصاحبي»[13]، وكذلك ما جاء في حديث عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كان نبي بعدي لكان عمر بن

[11] البخاري، **الصحيح**، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم، ج١، ص٢٧، رقم٧٩.

[12] الترمذي، **السنن**، أبواب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، ج٤، ص٤٣٩، رقم٢٧١٥، وقال: "حسن صحيح".

[13] البخاري، **الصحيح**، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذًا خليلًا قاله أبو سعيد، ج٥، ص٤، رقم٣٦٥٦.

الخطاب»[14]، وكذلك ما جاء في حديث عن أنس –رضي الله عنه–، أن النبي ﷺ نعى زيدًا وجعفرًا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم، فقال: «أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب وعيناه تذرفان: حتى أخذ الرايةَ سيفٌ من سيوف الله، حتى فتح الله عليهم»[15]. فهذا التقدير رفع من معنويات الصحابة، وزاد من ثقتهم بأنفسهم، وجعلهم يشعرون بتقدير قائدهم لهم، مما أسهم في زيادة حماسهم، واستعدادهم للتضحية، وشجعهم على التفاني في خدمة الإسلام.

كما أنه ﷺ كان أيضًا يشركهم في اتخاذ القرارات، ويستمع لآرائهم باحترام، وقد كان الرسول ﷺ يتشاور مع أصحابه ويسمع لهم، والأمثلة على ذلك عديدة، منها –على سبيل المثال لا الحصر– أن الرسول استشار أصحابه في غزوة بدر، ووجد ﷺ أن من واجبه استشارتهم قبل إبلاغهم بالقرار الذي يدور في خلده، خاصة أنَّ فيهم عددًا من الأنصار الذين لم يكن في شروط بيعتهم للرسول ما يلزمهم بالقتال خارج المدينة، فوقف الرسول بين أصحابه يستشيرهم، وكان مما قال: "هذه مكة ألقت إليكم أفلاذ كبدها..."، فوقف أبو بكر فقال وأحسن، وقام عمر فقال وأحسن، ثم وقف المقداد بن عمرو فقال: "يا رسول الله امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿**فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**﴾ [المائدة: 24]، ولكن نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا إنَّا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد (مدينة في الحبشة)، لجالدنا معك من دونها حتى تبلغها، فتابع الرسول كلامه: " أشيروا علي أيها الناس، وأدرك الأنصار أنه يريد أن يسمع رأيهم، فقام سعد بن معاذ فقال: " قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلَّف عنك رجل واحد، فسرْ على بركة الله[16]. توضح لنا هذه الحادثة بجلاء كيف كان النبي ﷺ يحرص على مبدأ الشورى؛ حيث كان يُشْرِكُ الجميع في اتخاذ القرارات، لا سيما الأنصار الذين لم تشمل بيعتهم المشاركة في القتال خارج المدينة. هذا المبدأ يعزز القيادة الجماعية، ويمنح الأفراد شعورًا بقيمتهم ومسئوليتهم تجاه الأمة، مما يجعل الشورى أسلوبًا مهمًا لتوجيه الأمة نحو اتخاذ القرارات الأفضل بروح التعاون والمشاركة؛ وقد أسهم هذا النهج في بناء جيل من القادة القادرين على تحمل المسئولية واتخاذ القرارات الحكيمة بعد وفاة النبي ﷺ. وقد تجسد ذلك بصورة واقعية عندما تولى الصحابة شئون الأمة، ونجحوا

[14] الترمذي، **السنن**، أبواب المناقب، باب في مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ج٦، ص٥٩، رقم٣٦٨٦، وقال: "حديث حسن غريب".

[15] البخاري، **الصحيح**، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب خالد بن الوليد، ج٥، ص٢٧، رقم٣٧٥٧.

[16] أحمد راتب عرموش، **قيادة الرسول ﷺ السياسة والعسكرية**، (بيروت: دار النفائس، ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ص٤٥.

في إدارتها بفضل ما تعلموه من النبي ﷺ، ولم يقتصر هذا النهج على صناعة قادة ناجحين فقط، بل كان عاملًا أساسيًا أيضًا في إعداد قدوات للأجيال اللاحقة في مجالات الأخلاق، والقيادة، واحترام آراء الآخرين.

٦- معالجة أخطائهم بحكمة

من أبرز جوانب منهج النبي ﷺ في صناعة القدوة لدى الصحابة هو تعامله الحكيم مع أخطائهم، وهذا المنهج يُظهر كيف كان النبي ﷺ قائدًا رحيمًا ومدرِّسًا حكيمًا، وقد أسهم في تشكيل شخصياتهم بطريقة إيجابية، والأمثلة على هذا عديدة وكثيرة، منها على سبيل المثال أن النبي ﷺ كان يوجِّهُ الصحابة برفْقٍ عند وقوع الأخطاء، مُظهرًا لهم كيفية التصحيح بدلًا من اللوم والتعنيف؛ فمثلًا، عندما يُقدمُ أحد الصحابة على خطأ، كان يُبين له كيف ينبغي أن يتصرف، جاء عن عكرمة وهو ابن عمار أنه قال: قال إسحاق: قال أنس: "كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقًا، أرسلني يومًا لحاجة. فقلت: والله! لا أذهب. وفي نفسي أنْ أذهب لما أمرني به نبي الله ﷺ فخرجت حتى أمرَّ على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي، قال: فنظرت إليه وهو يضحك، فقال: "يا أنيس، أذَهبتَ حيث أمرتُك؟ "، قلتُ: نعم، أنا أذهب، يا رسول الله"[17]، هذا الحديث يُظهر لنا كيف كان النبي ﷺ يتعامل مع أخطاء الصحابة، أو ترددهم دون قسوة، فبدلًا من لوم أنس على عدم تنفيذ الأمر كان ﷺ رفيقًا هيّنًا ليّنًا معه -رضي الله عنه-، علَّمه وأرشده بطريقة محببة ومُضحكة، وسأل النبي ﷺ بأسلوب لطيف: «أذهبت حيث أمرتك»، مما يحفز أنسًا على تنفيذ الأمر دون الشعور بالذنب أو الخجل، كما يعزز هذا التعامل أيضًا العلاقة بينهما، مما يُشجع الصحابة الآخرين على التعبير عن مشاعرهم وآرائهم دون خوف من العقاب أو اللوم، فهذا النوع من التعامل هو نموذجٌ يُحتذى به في كيفية التعامل مع الأخطاء، سواء من قبل القادة أو الأفراد، حيث يجب أن يكون التعامل برفق وحنان. كما كان من منهجه ﷺ أيضًا في التعامل مع أخطاء الصحابة، أنه كان يستخدم أسلوب التلميح بالغضب؛ وذلك كما جاء في حديث عن عائشة -رضي الله عنها- زوج النبي ﷺ أنها أخبرته أنَّها اشْتَرَتْ نُمْرُقَةً فيها تصاوير، فلما رآها رسول الله ﷺ قام على الباب، فلم يدخل؛ فعرفت في وجهه الكراهية، قالت: يا رسول الله! أتوبُ إلى الله وإلى رسوله، ماذا أذنبتُ؟ قال: «ما بال هذه النمرقة»؟ فقالت: اشتريتها لتقعد عليها وتوسدها، فقال رسول الله ﷺ: «إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة، ويقال لهم: أحيوا ما

[17] مسلم، **الصحيح**، كتاب الفضائل، باب كان ﷺ أحسن الناس خلقًا، ج٤، ص١٣٠٥، رقم٢٣١٠.

خلقتم، وقال: إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة»[18]. كان النبي ﷺ يُظهر مشاعر الكراهية وعدم الرضا من خلال تعبيرات وجهه وسلوكه، مما يشير إلى وجود مشكلة دون الحاجة إلى التصريح بها بشكل مباشر، ويُتيح للمخطئ فرصة إدراك خطئه، ومن الأمثلة على ذلك نجد أن منهج النبي ﷺ في التعامل مع أخطاء الصحابة كان يمزج بين الحكمة والرحمة، حيث كان يُشعر المخطئ بمسئوليته عن أفعاله ويحفزه على التغيير دون ضغط أو إكراه. هذا الأسلوبُ أسهم في تكوين قدوات من الصحابة في المجتمع، حيث تعلموا من النبي ﷺ كيفية التعامل مع الأخطاء والاعتراف بها وتصحيحها بحكمة ورحمة.

٧- حب التشجيع والتحفيز للصحابة

التشجيع والتحفيز كانا من أبرز الأساليب التي استخدمها النبي ﷺ في تربية الصحابة وصناعتهم؛ حيث كان ﷺ يحرصُ على رفع معنوياتهم، وتثبيت إيمانهم من خلال كلمات التشجيع، والمواقف التي تعزز الثقة بالنفس، وتبعثُ الأمل في القلب، والأمثلة على ذلك كثيرة؛ منها أن الرسول ﷺ كان يشجِّعُ الصحابة، ويرفعُ من معنوياتهم في لحظة صعبة، نرى هذا المنهج واضحًا في مواقف النبي ﷺ في رفع المعنويات عند الأزمات، عندما كان الصحابة يحفرون الخندق في غزوة الأحزاب، واجهوا صخرة صعبة جدًا لم يتمكنوا من كسرها، يروي لنا البراء بن عازب هذه القصة، فيقول: أمرنا رسولُ الله ﷺ بحفر الخندق، قال: وعرضت لنا صخرة في مكان من الخندق، لا تأخذ فيها المعاول، قال: فشكوناها إلى رسول الله ﷺ، فجاء رسول الله ﷺ، ووضع ثوبه ثم هبط إلى الصخرة، فأخذ المعول فقال: «بسم الله» فضرب ضربة فكسر ثلث الحجر، وقال: «الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر من مكاني هذا»، ثم قال: «بسم الله» وضرب أخرى فكسر ثلث الحجر فقال: «الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر المدائن، وأبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا» ثم قال: «بسم الله» وضرب ضربة أخرى فقلع بقية الحجر فقال: «الله أكبر أُعْطِيتُ مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا»[19]، هذا الحديث يوضح لنا أن النبي ﷺ كان يشجع الصحابة، ويرفع من معنوياتهم في لحظة صعبة، إذ كانوا يشعرون بالخوف والتعب والجوع، فبشرهم بفتح بلاد عظيمة، وأعطاهم أملًا في المستقبل.

[18] البخاري، **الصحيح**، كتاب اللباس، باب من لم يدخل بيتًا فيه صورة، ج٧، ص١٦٩٢٦، رقم٥٩٦٠.

[19] أحمد بن محمد بن حنبل، **المسند**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٣٨هـ)، مسند الكوفيين، حديث البراء بن عازب، ج٣٠، ص ٦٢٦، رقم ٨٦٩٣، وقال: "حديث ضعيف".

وفي بيان هذا الأمر أيضًا جاء حديث عن أبي إسحاق، قال: جاء رجل إلى البراء، فقال: أكنتم وليتم يوم حنين يا أبا عمارة؟ فقال: أشهد على نبي الله ﷺ ما ولى، ولكنه انطلق أخفاء من الناس، وحسر إلى هذا الحي من هوازن، وهم قوم رماة، فرموهم برشق من نبل، كأنها رجل من جراد، فانكشفوا، فأقبل القوم إلى رسول الله ﷺ، وأبو سفيان بن الحارث يقود به بغلته، فنزل، ودعا، واستنصر، وهو يقول: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، اللهم نزل نصرك»، قال البراء: كنا، والله! إذا احمر البأس نتقي به، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به يعني النبي ﷺ» [20]، هذا الموقف يُظهر بوضوح كيف كان النبي ﷺ يشجع الصحابة، ويثبت قلوبهم في الأوقات الصعبة، ونرى بوضوح أن منهج التشجيع والتحفيز النبوي كان له دورٌ بارز في صناعة قدوة حسنة في نفوس الصحابة، مما أسهم في تشكيل شخصياتهم وتعزيز قيمهم، وأسهم في بناء جيل طيب، وأدى دورًا كبيرًا في نشر الإسلام وبناء الأمة.

٨- حثُّهم على التمسك بالقدوات الحسنة

دعا الإسلام إلى الاقتداء بالقدوات الحسنة، والتأسِي بهم، وقد حرص النبي الكريم على هذه القيمة الأخلاقية، فحث عليها أصحابه، ومن الأمثلة التي تعكس هذا الجانب من منهج النبي ﷺ ما يأتي:

أ- توجيه الصحابة للاقتداء بالنبي ﷺ شخصيًا

يرشدُ النبي أصحابه إلى الاقتداء به ﷺ في كل الجوانب، سواء في العبادة أو في الأخلاق والمعاملات؛ لأنه ﷺ كان قدوة كاملة، وصاحب خُلق عظيم، كما وصفه الله تعالى في القرآن الكريم بقوله: ﴿**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾ [الأحزاب: 21]، وما جاء في حديث عن أبي نجيح العرباض بن سارية – رضي الله عنه– والحديث جاء في مسند الإمام أحمد عن العرباض بن سارية –رضي الله عنه– قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظةً ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقلنا: يا رسول الله، كأنها موعظة مُوَدِّعٍ، فأوصنا. قال: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن تأمَّر عليكم عبدٌ حبشيٌّ؛ فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة» [21]، وحديثٌ آخرُ رواه البخاري عن أبي هريرة – رضي الله عنه — أن رسول الله ﷺ قال: «كل أمتي

[20] مسلم، **الصحيح**، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، ج٣، ص١٤٠١، رقم١٧٧٦.

[21] أحمد بن حنبل، **المسند**، مسند الشاميين، حديث العرباض بن سارية عن النبي ﷺ، ج٨، ص٣٧٣، رقم١٧١٤٤، وصححه محققه شعيب الأنؤوط.

يدخلون الجنة إلا من أبى. قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»[22].

وعلى هذا النمط يوجه النبي ﷺ أصحابه إلى الاقتداء به في المعاملة والسلوك أيضًا؛ حيث ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال :«من حمل علينا السلاح فليس منا، ومن غشنا فليس منا»[23]، وفي هذا الحديث دلالة واضحةٌ على التوجيه العميق من النبي ﷺ للصحابة في الاقتداء به كقدوة حسنة، حيث كان حريصًا على أن يلتزم الصحابة بالصدق والنزاهة في تعاملاتهم، وألا يكون في قلوبهم أي ميل للخداع أو الغش.

كانت هذه الأخلاقُ جزءًا من سلوك النبي ﷺ، الذي كان الصحابةُ يرون فيه المثل الأعلى في التأسي والاقتداء، وفي الفضيلة والأخلاق، ومن خلال هذا الحديث نعلمُ أنه ﷺ قد حثَّ الصحابة على الاقتداء به في تعاملاتهم مع الآخرين، وقد أراد النبي ﷺ أن يكون الصحابة قدوة حسنة في هذه الأخلاق، وأسوة لغيرهم في المعاملات الطيبة، والفضائل النافعة؛ ومن ثم استطاعوا أن ينشروا الإسلام بأخلاقهم، وأن يجعلوا الناس يدخلون في دين الله أفواجًا بفضل الأخلاق الحسنة، والقيم النبيلة.

ب- حثُّ الصحابة على الاقتداء ببعضهم

المنهج النبوي في صناعة القدوة من جيل الصحابة كان يعتمد على توجيه الصحابة إلى أن يكونوا قدوة لبعضهم البعض في جميع جوانب حياتهم، سواء في العبادة، أو الأخلاق، أو المعاملات، أو في التضحية في سبيل الله، وقد ساعد هذا المنهج في تشكيل شخصيات الصحابة، وجعلهم نماذج يُحتذى بها في بناء الأمة الإسلامية القوية والمتماسكة، ومثال ذلك هو ما ورد عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر»[24]. هنا يوصي النبي ﷺ أصحابه والأمة بالاقتداء بأبي بكر الصديق رضي الله عنه وعمر بن الخطاب رضي الله عنه، لما فيهما من صفات فريدة، كان النبي ﷺ يعلم أن كلَّ واحدٍ من الصحابة يتمَيَّزُ بصفاتٍ تجعل منه نموذجًا يُحتذَى به، ولكنَّ أبا بكر وعمر كانا يمتازان بالقيادة والبصيرة والقوة في تطبيق الدين، وهذا التوجيهُ يضمنُ للأمة نماذج قيادية يُحتذَى بها في الأمور الدينية والدنيوية.

---

[22] البخاري، **الصحيح**، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله، ج٩، ص١١٢، رقم٧٢٨٠.

[23] مسلم، **الصحيح**، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ من غشنا فليس منا، ج١، ص٩٩، رقم١٠١.

[24] الترمذي، **السنن**، كتاب المناقب، باب مناقب أبي بكر وعمر، ص ٦٠٩، رقم٣٦٦٢، وقال: "حديث حسن صحيح".

والأمثلة الأخرى التي تشجع الصحابة على الاقتداء ببعضهم البعض كثيرة أيضًا، منها على سبيل المثال لا الحصر ما روي عن عفان أنه قال: حدثنا وهيب، حدثنا موسى بن عقبة، قال: حدثني جدي أبو أمي أبو حبيبة، أنه دخل الدار وعثمان محصور فيها، وأنه سمع أبا هريرة يستأذن عثمان في الكلام، فأذن له، فقام فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: إني سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «إنكم تلقون بعدي، فتنة واختلافًا، أو قال: اختلافًا وفتنة، فقال له قائل من الناس: فمن لنا يا رسول الله؟ قال: عليكم بالأمين وأصحابه، وهو يشير إلى عثمان بذلك»[25]. من هذا الحديث يتجلَّى لنا أن النبي ﷺ كان يوجه أتباعه إلى التأسِّي بالصحابة الكرام والاقتداء بهم، وخاصة عثمان بن عفان –رضي الله عنه–، في فترة الفتن والاختلافات. وكان هذا توجيهًا للصحابة بأن يظلوا ملتزمين بالقيم الأخلاقية التي حملها الصحابة الأوائل.

كما كان النبي ﷺ يسلط الضوء على صفات محددة لبعض الصحابة؛ لتكون قدوة للآخرين، ومثال ذلك: حديثٌ جاء عن عطاء وسليمان ابني يسار، وأبي سلمة بن عبد الرحمن؛ أنَّ أمَّ المؤمنين عائشة قالت: «كان رسولُ الله ﷺ مضطجعًا في بيتي، كاشفًا عن فخذيه. أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له، وهو على تلك الحالة، فتحدث، ثم استأذن عمر فأذن له، وهو كذلك، فتحدث، ثم استأذن عثمان، فجلس رسول الله ﷺ، وسوى ثيابه قال محمد: ولا أقول ذلك في يوم واحد فدخل فتحدث، فلما خرج، قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له، ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عثمان؛ فجلست وسويت ثيابك! فقال: ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة»[26]. هذا الحديث يظهر الحياء الكبير الذي كان يتميز به عثمان –رضي الله عنه–، ويعطي إشارة للمسلمين بأن يستحسنوا هذه الصفة ويتخذوها قدوة؛ ومن هنا نعلم أن حثَّ النبي ﷺ الصحابة على الاقتداء ببعضهم البعض له دور كبير في تشكيل جيل الصحابة كقدوة حسنة، كان كل فرد يقتدي بالآخر، هذه الدعوة للاقتداء بالقدوات الحسنة ساعدت في ترسيخ القيم، وتربية النفوس داخل المجتمع.

٩– توزيع المهام والمسئوليات بين الصحابة

من منهج النبي ﷺ في بناء شخصية الصحابة أنه كان يحرص على منحهم أدوارًا مهمة ومسئوليات تتناسب مع قدراتهم وإمكاناتهم، مما يعكس ثقته فيهم، ويعزز شعورهم بالمشاركة الفعالة في نشر الدعوة، ونرى ذلك

[25] أحمد، **المسند**، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، ج١٤، ص٢١٩، رقم٨٥٤١، حديث إسناده حسن.

[26] مسلم، **الصحيح**، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه، ج٤، ص١٨٦٦، رقم٢٤٠١.

ونلمسه في مواقف كثيرة للنبي عليه الصلاة والسلام، منها على سبيل المثال أنه ﷺ أوكل قيادة الجيوش إلى الصحابي أسامة بن زيد –رضي الله عنه–، فقد جاء في حديث عن عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– ، قال: «بعث النبي ﷺ بعثًا، وأمَّر عليهم أسامة بن زيد، فطعن بعض الناس في إمارته، فقال النبي ﷺ أن تطعنوا في إمارته، فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وايم الله إن كان لخليقًا للإمارة، وإن كان لمن أحبِّ الناس إليَّ، وإن هذا لمن أحب الناس إلي بعده»[27]، يتضح لنا أن اختيار النبي ﷺ لأسامة بن زيد لقيادة الجيش، رغم صغر سنه، كان تعبيرًا عن ثقته الكبيرة في قدراته وكفاءته، هذه الثقة كانت بمثابة تحفيز له ولغيره من الصحابة، مما عزز شعورهم بقيمتهم وقدرتهم على تحمل المسئولية والقيادة. من خلال تكليف أسامة، كما بيَّن النبي ﷺ أهمية المبادرة والاعتماد على الشباب، مؤكدًا أن الفئات العمرية المختلفة يمكن أن تُسهم بشكل فعّال في خدمة الأمة؛ ومن هنا كانت قيادة أسامة فرصة للصحابة الآخرين للتعلم من تجربته، مما يعزز مفهوم القيادة الجماعية، ويقوي التلاحم بين الأفراد، وكان ذلك أيضًا فرصة لتطوير مهاراته القيادية، وتجربته العملية في إدارة الأمور؛ مما كان له أثر إيجابي في مستقبله كقائد؛ ولذلك فإن اختيار النبي ﷺ لأسامة بن زيد لقيادة الجيش يعكس فلسفة نبوية عميقة في القيادة والتربية، حيث كان الهدف ليس فقط النجاح في المعركة، بل بناء جيل من القادة والقدوات القادرين على تحمل المسئولية ونشر الرسالة الإسلامية أيضًا. فهذا المنهج النبي ﷺ في توزيع المسئولية كان له دور كبير في بناء شخصية الصحابة وتعزيز قدراتهم القيادية، وإعطاء كل شخص دورًا مهمًا، ومسئولية تتناسب مع قدراته.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الماتعة في تعاليم رسول الله ﷺ وأحاديثه النافعة يمكن لنا أن نبين أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة في النقاط الآتية:

١. تحديات الأمة اليوم تتمثل في قلة النماذج الصالحة التي تسهم في إصلاح الأخلاق والسلوك؛ مما يجعل العودة إلى المنهج النبوي أمرًا ملحًا لإعداد القدوات الصالحة، وتطبيقه في مختلف مجالات الحياة؛ إذ إنه يحتوي على حلول شاملة لمعالجة المشكلات.

٢. المنهج النبوي في صناعة القدوة يتجسد في تربية النبي ﷺ لأصحابه في جميع جوانب حياتهم: العقدية، الروحية، العقلية، والأخلاقية. فقد كان ﷺ يهتم بتعليمهم العلوم الشرعية والدنيوية، ويشجعهم على التعاون

[27] البخاري، **الصحيح**، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب زيد بن حارثة مولى النبي ﷺ، ج٥، ص٢٣، رقم٣٧٣٠.

والتكامل في المجتمع، مع التأكيد على الرفق واللين في التعامل معهم؛ حتى يكونوا قدوة لغيرهم، ويكونوا قادرين على نشر تعاليم الإسلام في أرجاء الأرض بتلك التعاليم والأخلاق التي علمهم إياها رسول الله ﷺ.

٣. التأثير العميق للمنهج النبوي أسهم في تكوين مجتمع مسلم يُحتذى به في الأخلاق والعبادة، وكان له دور كبير في تعزيز مكانة الصحابة في التاريخ.

٤. تمكن النبي ﷺ من إعداد أجيال من الصحابة الذين أصبحوا قدوات في الأخلاق والعمل، وصناعة جيل واعٍ يحمل قيم الإسلام، ويطبقها في حياتهم اليومية، وتركوا تأثيرًا عميقًا على الأمة الإسلامية في مختلف الأقطار والأمصار.

المصادر والمراجع

ابن عبد الله، بن حميد صالح. (د.ت). **نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ**. (ط٤). جدة: دار الوسيلة للنشر والتوزيع.

ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. (د.ت). **السنن**. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (د.ط). القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.

أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق. (١٣٩٢هـ). **السنن**. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. (د.ط). بيروت: المكتبة العصرية، صيدا.

أحمد، ابن محمد بن حنبل. (١٤٣٨هـ). **المسند**. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. (ط١). د.م: مؤسسة الرسالة.

البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم. (١٤٢٢هـ). **الصحيح**. (ط١). بيروت: دار طوق النجاة.

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى. (١٩٩٦م). **السنن**. تحقيق: بشار عواد معروف. (ط١). بيروت: دار الغرب الإسلامي.

عرموش، أحمد راتب. (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م). **قيادة الرسول ﷺ السياسة والعسكرية**. (ط١). د.م: دار النفائس.

مسلم، ابن الحجاج أبو الحسين، القشيري النيسابوري. (ت ١٣٨٨هـ). **الصحيح**. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (د.ط). القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.